مضمون اسم الله العدل ومغزاه

أشرف عبد الله برعي
باحث بمجمع الفقه الإسلامي الدولي
المملكة العربية السعودية

تمهيد : الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ومصطفاه، وآله وصحبه ومن والاه، وتابعيهم بإحسان إلى أن نلقاه،

وبعد، فسأتناول في هذا البحث موضوع: (مضمون اسم الله العدل ومغزاه) مستلهما أفكاره من قبس نور (رسائل النور) للإمام النورسي رحمه الله تعالى، وذلك من خلال مقدمة وفصلين:

- فالمقدمة في ثلاث نقاط، هي:

١- مفهوم (العدل).

٢- (العدل) اسم من أسماء الله عز وجل الحسنى.

٣- مكانة (العدل) من رسائل النور ومن فكر الإمام النورسي رحمه الله.

ثم موضوع البحث وهو يتكون من فصلين :

- الفصل الأول: مضمون اسم الله (العدل) وأنه، سبحانه وتعالى، يتصرف بالعدل في خلقه وإيجاده، وأمره وتكليفه، وقدره وقضائه، وذلك ضمن مباحث أربعة، هي:

أولا : العدالة الإلهية في الخلق والإيجاد.

ثانيا : العدالة الإلهية في الأمر والتكليف.

ثالثا : العدالة الإلهية في التناسب والتجانس بين خلقه وتكاليفه سبحانه وتعالى.

رابعا : العدالة الإلهية في القضاء والقدر.

- الفصل الثاني : مغزى اسم الله (العدل) ودلالته ومقصوده، وذلك ضمن مباحث ثلاثة، وهي:

أولا : الدلالة على وجود الله تعالى ووحدانيته.

ثانيا : أمر الخلق بالعدل والقسط.

ثالثا : الإيمان باليوم الآخر، وثبوت الميعاد والحساب.

مقدمة :

١- مفهوم العدل :

أصل مادة (ع د ل) كما يقول ابن فارس، رحمه الله تدل على معنيين متقابلين، أحدهما الاستواء، والآخر الاعوجاج.(١) والمراد هنا الأول، وهو في الأصل مصدر سُمِّي به، فتقول: رجل عدل. بمعنى عادل، فيوضع موضع اسم الفاعل، وهو أبلغ منه؛ لأنه جعل المسمى نفسَه عدلا.(٢)

وقال الجوهري في الصحاح: العدل خلاف الجور، يقال: عدل عليه في القضية فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومعدِلته ومعدَلَته، وفلان من أهل المَعْدَلة، أي من أهل العدل، ورجل عدل، أي: رضا ومقنع في الشهادة.(٣)

وعرفه ابن سِيْدَه وغيرُه : بأنه ما قام في النفوس أنه مستقيم(٤)

وعرفه الرازي وأبو السعود والجرجاني بأنه: الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط(٥)

فالعدل نقيض الظلم والجّور، وهو قصد واستواء واستقامة في الأمور، وهو وقيام بالقسط، وهو حكم بالحق والإنصاف، وهو إعطاء كل ذي حق حقه، وهو توسط بين الإفراط والتفريط، وهو إصدار الفعل علي وجه الحكمة .

والعدالة إحدى الفضائل الأربعة التي ترجع إليها جميع الفضائل عند الفلاسفة، وهي: الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، والعدالة عندهم: عبارة عن وقوع هذه الفضائل على الترتيب الواجب فيها، فبها تتم جميع الأمور؛ ولذلك قيل: (بالعدل قامت السماوات والأرض) (٦)(٧) .

---

(١) انظر مقاييس اللغة : ٢٤٦/٤ .

(٢) لسان العرب : ٤٣٠/١١ .

(٣) ترتيب الصحاح مادة (عدل) : ص ٦٨٠

(٤) المحكم والمحيط الأعظم: ١١/٢ ، تاج العروس : ٤٤٣/٢٩ ، لسان العرب ٤٣٠/١١.

(٥) تفسير الرازي: ١٠٢/١٠ ، وتفسير أبي السعود : ١٣٦/٥، والتعريفات ، للجرجاني: ص ١٥٣.

(٦) قالته اليهود لعبد الله بن رواحة عامل رسول الله ρ حين عرضوا عليه الرشوة فرفضها وأخبرهم بأنهم أبغض خلق الله له لكن لا يحمله ذلك على أن لا يعدل بينهم ، فقالوا : بهذا قامت السماوات والأرض. أخرجه أحمد : ٣٦٧/٣ ، ٢٤/٢ ، ٢٩٦/٣، وابن حبان : ٦٠٨/١١ ، ومالك في الموطأ : ٢٠٧/٢، و ابن ماجه : (١٨٢٠) ، وغيرهم .

٢- العدل اسم من أسماء الله عز وجل الحسنى :

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما[٨] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله، ρ، قال : (إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة) وأخرجه الترمذي وابن حبان والحاكم [٩] بزيادة فيها سرد هذه الأسماء، وذكروا منها: (العدل).

وقد حقق المحدثون أن ذكر الأسماء مدرج من قول أحد الرواة، قاله غير واحد من أهل العلم[١٠]، لكن يعضد هذه الزيادة إجماع المسلمين على أن من أسماء الله تعالى (العدل). وهو اسم تقطع به الظواهر وتنطق به جميع المخلوقات، فالعدل سنة ماضية في الخلق، ترى كل شيء في الكون قائما بالعدل والقسط، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فصلت: ٥٣)، وقال عز من قائل: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٨٩-١٩١)، فخلق الله كله يصيح باسمه (العدل).

قال أبو حامد الغزالي، رحمه الله، في المقصد الأسنى: (إن الأسامي المشتقة من الأفعال لا تفهم إلا بعد فهم الأفعال، وكل ما في الوجود من أفعال الله تعالى)[١١] وبهذا تفهم أن هذا العدل المبثوث في الكون الذي هو من فعله، سبحانه وتعالى، هو اسم من أسمائه، عز وجل.

وسيأتي مبحث حول عدالة الكون لعل فيه ما يشفي، وقد أبرز الإمام النورسي رحمه الله هذه الفكرة في مواضع كثيرة من رسائله، فيقول مثلا : (فتأمل في الموازنة الرائعة بين الشمس والكواكب السيارة الاثنتى عشرة التي كل منها مختلفة عن الأخرى، ألا تدل هذه الموازنة دلالة واضحة وضوح الشمس نفسها على الله سبحانه الذي هو العدل القدير ؟) [١٢]

٣- مكانة العدالة في رسائل النور وفي فكر الإمام النورسي :

---

(٧) انظر معارج القدس في مدراج معرفة النفس ، لأبي حامد الغزالي : ص ٨٥

(٨) صحيح البخاري : ٩٨١/٢ ، ٢٦٩١/٦ ، صحيح مسلم : ٢٠٦٣/٤

(٩) سنن الترمذي ٥: /٥٣٠ ، ٥٣١ ، وابن حبان : ٨٠٨ ، مستدرك الحاكم : ٦٢/١ ، ٦٣.

(١٠) ذكره الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام ، انظر سبل السلام ٢١٤/١.

(١١) المقصد الأسنى في شرح أسماء اله الحسنى ، للغزالي : ص ٩٩ .

(١٢) رسائل النور ، اللمعات ، اللمعة الثلاثون : ص ٥٢٤

إن رسائل النور منهل غزير وعذب لمادة (العدالة) وكيف لا وقد حكى الإمام النورسي رحمه الله تعالى عن منهجه في فيها، فقال: (عبارة عن الشفقة والعدل والحق والحقيقة والضمير)[١٣]، وقال أيضا: (وقد ثبت ببراهين دامغة في أغلب أجزاء (رسائل النور) أن فعل التنظيم والنظام الذي هو تجلٍ من تجليات اسم الحَكَم والحكيم، وأن فعل الوزن والميزان الذي هو تجلٍّ من تجليات اسم العدل والعادل ...)[١٤] وقد أولى العدل اهتماما كبيرا في رسائله، وأفرد الكلام على اسم الله (العدل) في النكتة الثانية من اللمعة الثلاثين، وهو رحمه الله يعتقد أن (العدل) اسم من أسماء ستة هي اسم الله الأعظم، أو هي أنوار ستة لاسمه الأعظم [١٥].

الفصل الأول : مضمون اسم الله العدل

الله سبحانه وتعالى عدل في خلقه وإيجاده، وعدل في تشريعه وتكليفه، وعدل في أمره الكوني القدري وفي أفعاله، فالعدالة أمره وقاعدته التي سنّها في الخلق تكوينا وللخلق تشريعا.

أولا : العدالة الإلهية في الخلق والإيجاد .

بالعدل قامت السماوات والأرض[١٦]؛ الكون كله قائم بموجب قانون العدل، خلقه الله تعالى بحكمة بالغة، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، لا في سماء ولا في أرض ولا في غير ذلك، كواكب تجري لمستقر لها، ليل مكور على النهار، ونهار مكور على الليل، سماء حسنة كاملة متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعها وما فيها من الشمس والقمر والكواكب النيرات الثوابت منهن والسيارات، والأرض خلقها ودحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، وبث فيها من كل دابة وقدر أقواتها، كل ذلك وَفق نظام ثابت لا يتغير، وقانون معجز لا يتبدل، وهو العدل والحكمة والحق، ولو رددت نظرك في الكون سنين عددا تروم فطورا وخللا؛ لانقلب إليك بصرك خاسئا وهو حسير، وقد بهره عدل الله في خلقه، واستنطقته حكمته في صنعه: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ﴾ (آل عمران: ١٩١) ، فهو سبحانه وتعالى ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة: ٧)، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠)، و﴿ أَعْطَى

(١٣) رسائل النور ، الشعاع الرابع عشر : ص ٤٠٦
(١٤) رسائل النور ، اللمعات ، اللمعة الثلاثون : ص ٥٢٤
(١٥) رسائل النور ، اللمعات ، اللمعة الثلاثون : ص ٥٢٤
(١٦) انظر الحاشية رقم (٦) .

كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه: ٥٠)، و﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [١٧] أي: بالدرجة الحكيمة المعتدلة التي لا تزيد ولا تنقص، وخلق كل شيء بقدر: ﴿ إنّا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ (القمر: ٤٩)، فلا إفراط ولا تفريط، ولا تهور ولا تقصير، ولا مبالغة ولا إيجاز، بل كل شيء خلقه الله سبحانه وتعالى باعتدال، ووضع كل شيء في موضعه، وأعطى كل شيء ما يستحقه وما يناسبه وما يكفيه (لم يخلق شيئا في موضع إلا لأنه متعين له، ولو تيامن أو تياسر أو تسفّل أو تعلّى؛ لكان نقصا أو باطلا أو قبيحا أو خارجا عن التناسب، كريها في المنظر، وكما أن الأنف خلق في وسط الوجه، ولو خلق على الجبهة أو على الخدّ لتطرق إلى نقصان فوائده) [١٨].

ولو أن قوة نظر العين زادت عما هي عليه بحيث ترى كل شيء؛ لاستحالت حياتنا إلى شقاء، ولما استطعنا شربة ماء، ولما استطعنا النوم أو الجلوس أو المشي مما نراه من دقائق المخلوقات، ولو أنَّها ضعفت عما هي عليه لما أبصرنا مواضع الخطر ولهلكنا.

علماء الجيولوجيا يرون أن قطر الكرة الأرضية متناسب مع حجم الإنسان؛ والدليل على ذلك أن حجم الشخص على سطح القمر سدس حجمه على وجه الأرض، والقمر قطره سدس قطر الكرة الأرضية، ومن ثم فلو زاد قطر الكرة الأرضية عن ذلك فأصبح الضعف مثلا لتضاعفت مساحتها أربعة أضعاف ولأصبحت جاذبيتها للأجسام ضعف ما هي عليه، وثقلت حركة المخلوقات جدا، ولو قل عن ذلك فأصبح قطرها ربع قطرها الحالي مثلا؛ لضعفت جاذبيتها للأجسام، ولما استقرت المخلوقات على الأرض، ولعجزت عن الاحتفاظ بالغلافين الجوي والمائي ولصارت درجة الحرارة بالغة إلى حد الموت [١٩].

الجنين يبقى في بطن أمه تسعة أشهر، فلو زاد عن ذلك؛ لكانت مشقة بالغة وعنَتٌ ظاهر، ولقل النسل، ولبُغِّض الحمل إلى الناس، ولو قل وقت الحمل عن ذلك، فكان شهرا أو أقل مثلا؛ لأصبح لكل شخص أكثر من مئة مولود وهو أمر لا يطاق.

وهكذا مهما سرح بصرك في نفسك، وفي السماوات وفي الأرض ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر: ٥٧)

---

(١٧) الأنعام : ٧٣ ، إبراهيم : ١٩ ، النحل : ٣ ، الزمر : ٥ ، التغابن : ٣

(١٨) المقصد الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى : ص ٩٩ .

(١٩) انظر " نشأة العالم " ، لفرنك ألين ، عالم الطبيعة البيولوجية ، بحث ضمن مجموع رسائل " الله يتجلى في عصر العلم " : ص ١٤ ، ترجمة : الدمرداش عبد المجيد سرحان .

لرأيت العدل ميزان كل شيء وسنته .

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (الانفطار: ٦٨)

ولقد وقف الفكر الإنساني على مر التاريخ الإنساني مبهورا بهذا الناموس السائر في الخلق، وقد راعهم ما شاهدوه من نظام ثابت محدد يهيمن على الظواهر الطبيعية سماء وأرضا ونجوما وشمسا وقمرا؛ فاستلهموا منها معنى العدل، وصاغوا لأنفسهم قوانين، يديرون بها شئون حياتهم ويقيمون بها معايشهم، يحكون بها هذا الناموس، فأنتج اليونانيون القدماء قانونا سموه (قانون الطبيعة)، والرومانيون صاغوا (قانون الشعوب) والإنجليز صاغوا (قانون ضمير الملك)، فكان مُلهِمُهم في ذلك هو نظرهم في الكون وانبهارهم بعدالة الخلق فأرادوا تحقيق العدالة بين البشر محاكاة للعدالة المحققة في الخلق.

وهذه الفكرة بارزة عند النورسي رحمه الله تعالى في رسائله في مواضع كثيرة متفرقة؛ فيقول مثلا: (وانظر إلى الكون أجمع، لقد ضم العدل الإلهي جميع موجوداته تحت جناح ميزانه ويديم موازنة الأجرام العلوية والسفلية، ويعطيها التناسب والتلاؤم الذي هو أهم أساس للجمال، ويجعل كل شيء في أفضل وضع وأجمله، ويعطي كل ذي حياة حق الحياة، فيحق الحق ويحدّ من تجاوز المعتدين ويعاقبهم.. فشاهد الجمال الباهر جمال هذه العادلية الإلهية.)[٢٠]

سبحان من لو سجدنا بالعيون له ... على حمى الشوك والمحمي من الإبر
لم نبلغ العشر من معشار نعمته ... ولا العشير ولا عشرا من العشر[٢١]

هذا عدل الله سبحانه في خلقه فاعتبروا يا أولي الألباب .

ثانيا : العدالة الإلهية في الأمر والتكليف .

يقول الإمام النورسي رحمه الله: (الشريعة التي تجلّت من أميّ، ρ، وأدارت خمس البشرية على اختلافها منذ أربعة عشر قرناً، إدارة قائمة على الحق والعدل بقوانينها الدقيقة الغزيرة، لا تقبل مثيلاً أبدا.)[٢٢] ويرى الإمام النورسي، رحمه الله تعالى، أن العدل أحد المقاصد الأربعة في كتاب الله، وهي: التوحيد، النبوة، الحشر، العدل مع

(٢٠) رسائل النور ، الشعاعات ، الشعاع الرابع : ص ٩٠
(٢١) نسبه الحافظ ابن رجب الحنبلي لأبي عبيد الخواص ، لطائف المعارف : ص ٣٨٥
(٢٢) رسائل النور ، الشعاعات ، الشعاع السابع : ص ١٦٧

العبودية .[٢٣]

إن العدالة هي ضالة البشرية، وأزمة الإنسانية، طوّح فيها الفكر الإنساني على مر العصور، فزلت فيها أقدام، وضلت فيها أفهام، وعرفت البشرية على مر التاريخ شرائع وقوانين ونظما من صنع البشر مثل شرائع حمورابي، ومانو، وبوذا، وهوميروس، و(قانون الطبيعة) عند اليونان، و(قانون الشعوب) عند الرومان، و(قانون ضمير الملك) عند الإنجليز، والنظم المعاصرة من ديكتاتورية وشيوعية، وليبرالية وغير ذلك كثير جدا، والجميع عبارة عن مزيج من الأعراف والفلسفة والسلطة ... إلخ، وقد ترى في بعضها جوانب للعدل لكنه عدل ناقص سطحي لا يلبث أن يعجز عن الإيفاء بالحوادث المستجدة؛ فتصبح نصوصا جامدة وإجراءات شكلية لا مضمون لها ولا روح فيها، فتجدها خليطا من العدل والظلم، والشدة واللين، والحب والبغض، والحكمة والسفه، والإصلاح والإفساد، فلو عَدَلَت في جهة فقد ظلمت في جهات، ولو أصلحت في جانب فقد أفسدت في جوانب، وإن صلحت للبعض فغير صالحة لآخرين، فلم تف بحاجة البشرية ولا حققت هدفها في تحقيق العدل، بل اشتملت في أكثر أحوالها على ظلم مقيت، فغلبت الهوى ومصالح الطبقات العليا، وكرست عبودية البشر للبشر وللشهوات، وعادَت رسلَ الله تعالى وشرائعه العادلة، فأضاعت حقوق الناس ومصالحهم، وأسقطت العدالة وضيعت الأمانة وسلبت الحقوق، وأذاقت البشرية من ويلات الحروب والاستعمار والفقر والجوع والدمار والموت والخراب ونهب الثروات ما لا يخفى على أحد، ولا عجب فهي من صنع البشر بجهله وظلمه وما ركب فيه من نقص وشهوات وأهواء وميول.

لكن الله الحكيم الخبير لم يترك خلقه هملا وسدا، فبعث الله الرسل، وأنزل الكتب، وشرع الشرائع، وحد الحدود، وبين للناس حقوقهم فيما بينهم، وبين حق العبد وحق الرب سبحانه، وأتم على الناس نعمته وأكمل لهم شريعته، وقصده سبحانه وتعالى من ذلك واضح معلن: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ؛ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥) (وهو العدل الذي قامت به السموات والأرض. فإذا ظهرت أمارات الحق وقامت أدلة العقل، وأسفر صبحه بأي طريق كان؛ فثم شرع الله ودينه، ورضاه وأمره)[٢٤]

بيد أن الشرائع السماوية التي نزلت قبل الإسلام كانت في أقوام معينين أو في

---

(٢٣) رسائل النور ، الكلمات ، الكلمة الخامسة والعشرون : ص٥٣٣

(٢٤) إعلام الموقعين : ٣٧٣/٤ .

أزمنة معينة، وظروف معينة، فكانت خاصة بهذا المكان وهذا الزمان وهؤلاء الأشخاص وتلك الظروف (فكما تبدل الملابس باختلاف المواسم، وتغيّر الأدوية حسب حاجة المرضى، كذلك تبدل الشرائع حسب العصور، وتدور الأحكام وفق استعدادات الأمم الفطرية، لأن الأحكام الشرعية الفرعية تتبع الأحوال البشرية، وتأتي منسجمة معها وتصبح دواء لدائها.)[٢٥]، فكانت هذه الشرائع السماوية تمهيدا وتوطئة لشريعة الله الخالدة ودينه الكامل، ونعمته التامة، شريعة صالحة لكل زمان ومكان ولكل أحد، شريعة متزنة عادلة وسطا، أقامت موازين العدل، وتمّمت مكارم الأخلاق، وحررت العباد من عبودية المخلوقات ومن عبودية الأهواء والشهوات، وأخرجتهم من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وفي قرن وبعض قرن، وثب المسلمون بهذه الشريعة وثبة ملئوا بها الأرض عدلا و نورا وحكمة وعلما وهداية؛ فراضُوا الأمم وهادُوا الممالك، وفتح الله تعالى عليهم البلاد وقلوب العباد، وركزوا ألويتهم في قلب آسيا وهامات أفريقيا وأطراف أوربا، وتركوا دينهم وشرعتهم ولغتهم وعلمهم وأدبهم تدين لها القلوب وتتقلب بها الألسنة، وتحقق فيهم الأنموذج الفريد والمثال الأعلى للبشرية، وقطع المسلمون تلك المرحلة، التي سَهَمَ لها الدهر ووجم لروعتها التاريخ، وقد رسمت لهم الشريعة معالم طريق المجد ونهج السعادة في الدارين[٢٦] فدخل الناس في دين الله أفواجا بعدما رأوا من عدالة الشريعة وحملتها، وأنها لابد أن تكون من عند العليم الخبير الحكيم العدل؛ فـ" الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله، ρ، أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح، فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد

---

(٢٥) رسائل النور ، الكلمات ، الكلمة السابعة والعشرين : ص ٥٦٨ ، ٥٦٩

(٢٦) من مقدمة كتاب " علو الهمة " ، لمحمد إسماعيل المقدم ، بتصرف .

منها وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس، وقوام العالم، وبها يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطيَّ العالم، رفع إليه ما بقى من رسومها، فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة)[٢٧] وهي (إما لدرء مفاسد وإما لجلب مصالح أو لهما معا)[٢٨] . فأمر الله عز وجل الخلق ونهيه، لا لمصلحة له سبحانه فهو الغني الحميد، لكن لمصالح العباد، لأنه لا يكون بقاء لهم إلا بالأمر والنهي والمنع من الفساد والتغاصب، وتَعَبَّدهم سبحانه وتعالى؛ لئلا يكونوا ناسين لذكره ولا تاركين لأدبه ولا لاهين عن أمره ونهيه؛ إذ كان فيه صلاحهم وقوامهم فلوا تركوا بغير تعبد لطال عليهم الأمد ولقست قلوبهم. [٢٩]

وأكتفي بالإشارة إلى بعض كليات التشريع التي تبرز هذا الأمر دون الخوض في التفاصيل، فمنها :

- الحرج مرفوع والتكليف إنما هو على وفق المستطاع فلا تكليف بالمحال[٣٠]:

وهذا النص إنما يعبر عن ثلاث كليات متكاملة من كليات الشريعة، وإنما دمجتهم لوثيق العلاقة بينهم وشدة التكامل والتآخي بينهم، فباستقراء نصوص الشرع نجد أن الله، تعالى، لا يطلب من ابن آدم إلا ما يطيقه وكان في استطاعته ولم يسبب له حرجا، كما دل عليه قوله، تعالى: ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٣١]، وقوله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ (المائدة: ٦) وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥) وغير ذلك من الآيات، فالله تعالى قد شرع الأحكام حسب وسع البشر، ولم يكلفهم ما يعنتهم، وذلك في الحالة الطبيعية المعتدلة المعتادة للإنسان، والاعتبار في

---

(٢٧) إعلام الموقعين : ٣/٣

(٢٨) الموافقات : ١٩٩/١

(٢٩) انظر علل الشرائع : ص ٢٥٦

(٣٠) انظر ترتيب اللآلي في سلك الأمالي: ٦٩/١ ، القواعد، المقري: ٤٦٠/٢، القواعد الصغرى، العز بن عبد السلام: ٥٥/١ ، ٦٤ ، قواعد الأحكام ، العز بن عبد السلام: ٢٣٣/٢، ٣٢٦، التحرير، ابن عاشور: ٢٥٣/١ ، الأسرار، الدبوسي: ١٦١/١، رفع الحرج ، الباحسين: ٢٣٦/١، رفع الحرج ، ابن حميد: ٢٨٩/١، نظرية التقريب ، الريسوني: ٣٠٢/١ ، نظرية الضرورة، الزحيلي: ٣٠٤/١، الموافقات، الشاطبي: ٦٣/١ ، ٦٧ ، ٦٨/٣ ، ١٣٣ ،١٤٥ ، ١٧٤، وغير ذلك.

(٣١) الأنعام: ١٥٢ ، الأعراف : ٤٢ ، المؤمنون : ٦٢ .

ذلك بعموم الأحوال دون خصوصها، أما إذا طرأ عليه طارئ أخرجه عن هذه الحالة إلى حالة يكون التكليف فيه مشقة وحرج عليه؛ فعندئذ يكون التخفيف والتيسر، فلا تثريب على المكلف فيما لا قدرة له عليه، رحمة من رب العباد سبحانه، فإن ضاقت به صدور البشر، فإن رحمة الله تعالى واسعة، ولهذا لا يخاطب بالتكاليف الصبي الصغير، ولا المجنون، ولا النائم، وكانت الاستطاعة مشترطة في وجوب الحج، وأبيح للمضطر أكل الميتة وشرب الخمر، وعلى هذا كل أحكام الشريعة، الأصل الإتيان بها فإن تعذرت وخرجت عن وسع الإنسان أو أوقعته في الحرج فعندئذ لا تكليف، يقول الإمام العز بن عبد السلام: (لا تسقط التكاليف إلا بالامتثال، أو بتعذره)[٣٢].

- مبدأ العدالة والمساواة [٣٣]:

إن من مبادئ أحكام الشريعة أنها بُنِيَت على العدالة المطلقة والتسوية بين الخلق، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، وفي الحديث: (يا أيها الناس ! إن ربكم واحد و إن أباكم واحد، ألا، لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا أحمر على أسود و لا أسود على أحمر إلا بالتقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ألا، هل بلغت ؟) قالوا : بلى يا رسول الله ! قال: (فيبلغ الشاهد الغائب)[٣٤] والأمثلة التطبيقة في الشريعة على هذا كثيرة لا تنحصر .

يقول الدكتور أحمد الريسوني: (مقصود الشريعة ومطلوبها: إقامة حياة القسط ومجتمع العدل)[٣٥]

وتأمل لما في الصحيحين، عن أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ρ؟. فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول، الله ρ. فكلمه أسامة، فقال رسول الله، ρ : (أتشفع في حد من حدود الله ؟!) ثم قام فخطب، فقال: (أيها الناس إنما أهلك الذين

---

(٣٢) قواعد الأحكام في مصالح الأنام : ٥١/١ ، وانظر الفروق للقرافي : ١٦٥/١

(٣٣) انظر مجلة الأحكام العدلية : ٣٦٦/١ ، مادة ١٧٩٩ ، وشرحها درر الحكام : ٥٤٠/٤ ، ٥٤١، الخلافة : ١١٨/١ ، حقوق الإنسان ، لمصيلحي : ٣٦٢/١ .

(٣٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان : ٨٨/٢ ، وأبو نعيم في الحلية : ١٠٠/٣ ، وأبو الشيخ في التوبيخ : ص ٢٤٥ ، من حديث جابر رضي الله عنه ، به . و أخرجه أحمد : ٢٤٢٠٤ ، والطبراني في الأوسط : ١ / ٢٩٢ ، والمحاملي في الأمالي : ٤٤/٤ ، عمن سمع خطبة النبي ρ، بنحوه. وقال في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح .

(٣٥) الكليات الأساسية للشريعة الإسلامية ، أحمد الريسوني : ص ٧١

قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[٣٦]

ثالثا : العدالة الإلهية في التناسب والتجانس بين خلقه وتكاليفه سبحانه وتعالى.

إن قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧٩)، إشارة إلى رابط مهم بين خلق الله وتكليفه، نعم، إن من مضمون عدل الله تعالى أن جعل الشريعة منسجمة مع الخلق متناسبة مع الكون والموجودات، فالذي خلق هو الذي شرع؛ ولو تأملت لرأيت أن الخلق والتشريع وجهان لعملة واحدة وشقان لثمرة واحدة، فالكون جسد والشريعة روحه، والشريعة مكملة للخلق ضابطة لأموره وهي ميزان أفعال البشر، وقد مر بنا عدل الله في خلقه، عدله سبحانه في تكليفه، فوازن بينهما وقايس فستعلم حتما أنهما خرجا من عند الخالق متكاملين متجانسين متناسبين، فالشريعة إنما خلقت ووجدت لهذا الكون، وأن هذا الكون مفتقر لها محتاج إليها لا قيام له إلا بها، إن طابع الشريعة طابع كوني، لا ليتعامل بها الشخص مع نفسه فقط ولا مع أهله وعشيرته فقط ولا مع بني ملته فقط، ولكن ليتعامل بها مع الكون كله البشر والحيوان والنبات والجمادات.

إن من صور التكامل بين الخلق والتكليف أن التكليف جاء متوافقا مع الفطرة الإنسانية[٣٧]، فالتكليف منسجم مع طاقات البشر وقدراتهم، وأحوالهم، ومقوماتهم الفطرية، وتأمل قول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠) وقوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (البقرة: ١٣٨)، وقول النبي ρ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ). ثم يقول راوي الحديث أَبو هريرة – رضي الله عنه : ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾[٣٨] فكما أن الكون خلق لهذا البشر وأعد له وهيء لأجله؛ ليقوم

---

(٣٦) أخرجه أحمد : ١٦٢/٦ ، والبخاري : ٣٧٧/٢ ٣٧٨ ، ٢٩٥/٤ ٢٩٦ ، ومسلم : ١١٤/٥ ، وأبو داود : ٤٣٧٣ ، ٤٣٧٤ ، والنسائي : ٢٥٧/٢ ، والترمذي ٢٦٩/١ ، والدارمي : ١٧٣/٢ ، وابن ماجه : ٢٥٤ ٧ ، وابن الجارود : ٨٠٤ ٨ ٠٦ ، والبيهقي : ٢٥٣/٨ ٢٥٤ ، من طرق عائشة ، به .

(٣٧) انظر مقاصد الشرعة الإسلامية : ص ٢٥٩ ، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام : ص ٣٢ ، كلاهما لابن عاشور ، ومقاصد الشريعة ، لعلال الفاسي : ص٧١

(٣٨) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، أخرجه البخاري: ٣٤١/١ ، ٣٤٨ ، ٣٠٨/٣ ، ومسلم: ٥٣/٨.

بوظيفة الاستخلاف فيه، فكذلك هذه الشريعة أعدت لهذا البشر فطرة وبداهة، فلا تشكل على النفوس والفطر السليمة بل تأتي متماشية متجانسة بالأصالة مع معها .

ويقرر الإمام النورسي كثيرا في رسائله بأن الشريعة فطرية، فيقول مثلا: (الشريعة الآتية من صفة الإرادة التي تسمى بـ (الأوامر التكوينية) و(الشريعة الفطرية) وهي محصلة قوانين عادات الله الجارية في الكون) [٣٩]، كما يقرر أن الإنسان وهب استعدادا فطريا لتحمل الأمانة الكبرى التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، ويرى أن إقامة الصلاة واجتناب الكبائر (وظيفة حقيقية تليق بالإنسان، ونتيجة فطرية ملائمة مع خلقته) [٤٠]، وأنه عابد لربه فطرة؛ فالامتثال للخالق وطاعته وظيفة فطرية، وضرب لذلك أمثلة بديعة. [٤١]

يقول الدكتور الريسوني: (الأحكام الشرعية لا يتصور إلا أن تكون مراعية في وضعها للأحوال والمقومات الفطرية للمكلفين، من حيث إدراكاتهم وقدراتهم، وميولهم واحتياجاتهم، وخصائصهم وصفاتهم ...) [٤٢]

ومن أوجه فطرية الشريعة أن الإنسان يتحرك فطريا وبداهة بما تمليه عليه ميوله وأهوائه وشهواته، فجاءت الشريعة لا لتقتل هذه الشهوات والأهواء ولكن لتضبطها وتحجمها وتلجمها بلجام الأمر والنهي؛ لتصل بها إلى العدل والاعتدال، والله عز وجل هو الذي خلق هذه الأهواء والشهوات والميول وركبها في البشر وفطرهم عليها: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ (آل عمران: ١٤)، وأباح لهم الاستمتاع بها، فقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣١، ٣٢) فهذا بيان من رب العباد في إباحة الاستمتاع بزينة الحياة الدنيا من غير سرف ولا تقتير؛ وذلك لحكمة بليغة؛ وهي أن مصالح العباد في المعاش والمعاد

---

(٣٩) رسائل النور ، المثنوي العربي النوري : ص: ٤٢٦

(٤٠) رسائل النور ، الكلمات ، الكلمة الخامسة : ص: ١٨ .

(٤١) انظر رسائل النور، الكلمات، الكلمة الخامسة: ص ١٨، ٢٠، الكلمة العاشرة : ص ٦٧، ١١٧، الكلمة الحادية عشرة: ص ١٣٦، المثنوي العربي النوري: ص ٣٩٢ ، ٤٣١ وغير ذلك كثير.

(٤٢) بحث حول فطرية الشريعة ، للدكتور أحمد الريسوني، نسخة خاصة.

إنما تقوم على هذه الشهوات والميول التي خلقها الله عز وجل، فلو تصورنا عالما بدون شهوة النساء والبنين وبدون شهوة التملك وشهوة المال وبدون شهوة الرياسة ...إلخ فلن يطلب أحدا الزواج والولد، ولن يطلب أحدا مالا، ولن يقوم إمام يرعى شؤون الناس... ولا شك أن هذا يعني خراب العالم وسقوط الحياة، وانقراض الجنس البشري قاطبة، وأن الحياة لن تستقر لأحد على وجه الأرض، وهذه الشهوات والميول والأهواء خلقها قوية ولها ضراوة؛ ليضمن بذلك عمارة الأرض وبقاء الحياة واستقامة المعاش وكذلك الآخرة؛ فإن الله خاطب هذه الفطر، وأغرى هذه الميول والأهواء والشهوات في كتابه بما في الجنة من النعيم المقيم والحياة الخالدة، فلو عدمت هذه الشهوات لما طلب أحد الآخرة، فبها تحفظ المصالح وتدرأ المفاسد في الدارين، ثم إن الله شرع الأحكام لتضبط هذه الشهوات وإلا لو تركت بلا لجام وبلا حد لحدث الهرج ولأكلت الحقوق ولضيعت مصالح البشر [٤٣]، ولو تفحصت في شريعة الله عز وجل وما تمليه الفطر السليمة؛ لوجدت أن الشريعة إنما جاءت متناسبة مع هذه الفطر، أو أن الناس قد فطرت على هذه الشريعة، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (الروم: ٣٠)، فالتوحيد والعبادة للخالق والميل للتدين متناسب مع الفطرة، وبغض الغيبة والنميمة والفحشاء والفساد والإفساد متناسب مع الفطرة وحب العدل والعادلين والصدق والصادقين والكرم والشجاعة والعفة والتصدق متناسب مع الفطرة، واختلاف بعض أحكام الرجال عن أحكام النساء متناسب مع الفطرة، ومراعاة الأعراف وتحكيم العادات متناسب مع الفطرة، وتغير الفتوى بتغير الأزمان والأحوال متناسب مع الفطرة، وإذا ذهبنا نعدد مظاهر فطرية الشريعة فلن يسعنا كتاب، لكن لعل ما ذكر يكفي في بيان المراد، والله ولي التوفيق.

رابعا : العدالة الإلهية في القضاء والقدر :

حكيمُ القضايا نحن في قَبْض حُكمه هو الحَكَمُ العدلُ له الارضُ والسماءُ[٤٤]

خصص الإمام النورسي رحمه الله تعالى لهذا الموضوع رسالة من رسائله وهي (المكتوب السادس والعشرون) سماها (رسالة القدر)، وأجدني مضطرا إلى أن أمس هذا الموضوع مسا خفيفا، ولا أوغل فيه؛ وذلك لخطره وصغر حجم مثل هذا البحث

---

(٤٣) انظر الموافقات : ٢/

(٤٤) رسائل النور ، الكلمات ، الكلمة السابعة عشرة : ص٢٤١ ، ونسبها الإمام النورسي ضن قصيدة في المناجاة لشيخه الكيلاني .

عليه، ولأنه ليس له ارتباط وثيق بهدف البحث .

انتهج الإمام النورسي، رحمه الله تعالى، في هذا الموضوع منهجا إيمانيا ربانيا، ولم يتناوله تناولا نظريا كتناول علماء الكلام له، من الحديث عن تعليل الأحكام والتحسين والتقبيح العقليين وخلق أفعال العباد ...، بل لاحظ فيه المعنى التربوي الذي قصده الله، عز وجل، من بيانه في كتابه، فيقول مثلا: (إن القدر والجزء الاختياري هما في أعلى مراتب الإيمان والإسلام، قد دخلا ضمن المسائل الإيمانية، لأنهما ينقذان النفس الإنسانية، فالقدر ينقذها من الغرور، والجزء الاختياري ينجيها من الشعور بعدم المسؤولية. وليسا من المسائل العلمية والنظرية التي تفضي إلى ما يناقض سر القدر وحكمة الجزء الاختياري كلياً، بالتشبث بالقدر للتبرئة من مسؤولية السيئات التي اقترفتها النفوس الأمارة بالسوء، والافتخار بالفضائل التي أنعمت عليها، والاغترار بها وإسنادها إلى الجزء الاختياري.)[٤٥]

ومن هذا يتضح أنه، رحمه الله، قد اتخذ موقفا عدلا بين هذه الطوائف، فلم ينف القدر - وحاشاه - كما فعلت بعض الطوائف، ولم ينف اختيار العبد كما فعلت طوائف أخرى، فجعل للبشر جهتين، جهة هو فيها مسير، وجهة هو فيها مخير، وهو المذهب الحق .

ولم يُسْتدرَج، رحمه الله، وراء مسائل الكلاميين في هذا الباب، وجعلها من علم الله الذي أخفاه عن البشر، فيقول: (إن العادل الحكيم الذي تشهد لحكمته وعدالته الكائنات كلها، بلسان الانتظام والميزان، قد أعطى للإنسان جزءًا اختياريًا مجهول الماهية، ليكون مدار ثواب وعقاب، فكما أن للحكيم العادل حِكَمًا كثيرة خفية عنا، كذلك كيفية التوفيق بين القدر والجزء الاختياري خافية علينا، ولكن عدم علمنا بكيفية التوفيق لا يدل على عدم وجوده) [٤٦]

إن الإيمان بالقضاء والقدر يجلب الراحة والاطمئنان للقلب، ولو تأملت في المجتمع الغربي المتحضر لوجدت أن نسبة الانتحار عندهم كبيرة، والأمراض النفسية عندهم منتشرة، أما في بلاد متواضعة حضاريا وعيشتها خشنة وتحت مستوى الفقر فتجد أن الانتحار نادر جدا والأمراض النفسية قليلة كذلك؛ وذلك سببه هو الإيمان بالله وبالقضاء والقدر؛ فإن لله ما أعطى وله ما أخذ وكل شيء عنده بمقدار.

---

(٤٥) رسائل النور ، المكتوبات ، المكتوب السادس والعشرون ، رسالة القدر : ص ٥٤١ .

(٤٦) رسائل النور ، المكتوبات ، المكتوب السادس والعشرون ، رسالة القدر : ص ٥٤٥ .

الفصل الثاني : مغزى اسم الله (العدل) ودلالته ومقصوده

إن لكل اسم من أسمائه، سبحانه وتعالى، أثر من الآثار في الخلق والأمر لا بد من ترتبه عليه، فأسماؤه تعالى ظاهرة في الكون، مبثوثة في الخلق، وهو سبحانه وتعالى لم يُبْرِز ذلك عبثا ولا لعبا، بل لِحِكَمٍ بالغة، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ١٦)، وقال في سورة العنكبوت: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٤٣)، ودعاهم أن يتأملوا في خلقه وأن يشاهدوا دلائل عدله وحكمته وقدرته... فهي آيات ودلائل وإشارات لله تعالى في خلقه؛ ليعقلها البشر ويؤمنوا بها، ويعملوا بمقتضاها، فمن دلالات اسم الله عز وجل (العدل)، ما يلي :

أولا : وجود الله عز وجل ووحدانيته :

يبرز هذه الحقيقة الإمام النورسي كثيرا في رسائله عند مناسبتها فيقول مثلا: (إن رسائل النور تبين وجود الله تعالى وتبين أن موجودات هذا الكون بأجمعها تشهد على وحدانية خالقها وأنه واجب الوجود وأن الإنسان بما جهزه الله من عقل وفكر أفضل مرآة لأسماء الله الحسنى)[٤٧]

(فتأمل في الموازنة الرائعة بين الشمس والكواكب السيارة الاثنتى عشرة التي كل منها مختلفة عن الأخرى، ألا تدل هذه الموازنة دلالة واضحة وضوح الشمس نفسها على الله سبحانه الذي هو (العدل القدير) ؟ ثم تأمل في أعضاء كائن حي من الأحياء التي لا تعد ولا تحصى، ودقق في أجهزته وفي حواسه.. تَرَ فيها من الانسجام التام والتناسق الكامل والموازنة الدقيقة ما يدلّك بداهة على الصانع الذي هو (العدل الحكيم) ...) [٤٨]

ويقول أيضا: (وكذا، إعطاء كل ذي حق حقه وفق استعداده ومواهبه، أي إعطاء كل ما يلزم، وما هو ضروري لوجوده، وتوفير جميع ما يحتاج إلى بقائه في أفضل وضع، يدلّ على أن يد عدالة مطلقة هي التي تُسيّر الأمور.)[٤٩]

إن الإقرار بوجود الخالق سبحانه وتعالى أمر فطري، جبلت القلوب وفطرت على الإقرار به، وهو أمر ضروري من المعلومات اليقينية الظاهرة التي لا يختلف عليها الناس، والحاصلة لكل أحد بأدنى نظر، فغالب الأمم اعترفوا بوجود الخالق،؛ لذا كان

(٤٧) رسائل النور ، الشعاعات ، الشعاع الرابع عشر : ص ٦٥٠ .
(٤٨) رسائل النور ، اللمعات ، اللمعة الثلاثون : ص ٥٢٥ .
(٤٩) رسائل النور ، الكلمات ، الكلمة العاشرة : ص ٦٩ .

عجب الرسل حينما واجهوا صدود الكفار والمشركين، كما في قوله سبحانه : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (إبراهيم: ١٠) فكان استفهامهم استنكاريا؛ لكون هذه القضية فطرية بديهية مستقرة في النفوس[٥٠]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ (الزخرف: ٨٧)، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (الزخرف: ٩)

وسئل أعرابي عن وجود الله، فقال بفطرته وبداهته : (إن البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام على المسير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحر ذات أمواج، لا تدل على اللطيف الخبير ؟)[٥١]

وجاء في معجم (لاروس للقرن العشرين): (إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحالة الحيوانية) [٥٢]

وإن كل الموجودات تدل أول ما تدل على وجود صانعها، وتخبر عن صفاته ومدى عدله وحكمته وإتقانه ...، وإني أحيلك من هنا إلى ما مر من مباحث عدل الله في الخلق وعدل الله في التكليف وعدله في التناسب بينهما، فسيتبين لك قطعية وجود الصانع، وأن كون ذلك مصادفة وعبثا مستحيل عقلا؛ بل لا بد من وجود الصانع، وأن هذا الصانع في المنتهى من العدل والحكمة والقوة والعلم والرحمة والعزة والكبرياء ... سبحانه، فمعلوم أن النظام أو الموجودات لا تنشأ إلا من طريقتين، طريق الصدفة وطريق التصميم والإيجاد، وكلما كان النظام أكثر تعقيدا بعد احتمال نشأته عن طريق المصادفة حتى يتلاشى، ولا يبقى إلا طريق واحد وهو أنه من صنع صانع تتجلى فيه صفاته من قوة وقدرة وإتقان وعدل ورحمة ... أو عكس هذه الصفات إذا كان الشيء رديئا وسيئا، هل يقبل عقل بشري أن يتصور أو يصدق أن جهاز الكمبيوتر مثلا أو أجهزة الكهرباء أو الأقمار الصناعية أو ... أو ... أو ... وجدت مصادفة، لا يمكن لعقل أن يقبل هذا، ونحن في خضم هذا اللانهائي من النظام الدقيق العدل والمعقد والمتقن، والإبداع الذي لا يستطيع البشر أن يحيط بجميعه علما، لا نستطيع إلا أن

---

(٥٠) انظر رسائل النور ، اللمعات ، اللمعة الثالثة والعشرون : ص ٢٦٧ .
(٥١) المواقف للإيجي : ١٥١/١ ، ومعارج القدس ، للغزالي : ١١١/١ .
(٥٢) انظر كتاب " الدين " ، لمحمد عبد الله دراز : ص ٨٤ ، ٨٩

نسلم بوجود الله سبحانه وتعالى[٥٣] .

وليس المقصود من هذا المبحث هو سرد الأدلة على وجود الله تعالى، وإلا فهي أكثر من أن تحصى، وقد حشد منها الإمام النورسي في رسائله جملة ليست بقليلة، لكن القصد هنا هو إبراز أن اسم الله العدل المبثوث في الكون دليل على وجود الصانع ونفي المصادفة والعبث، ولن أهدر مدادا وورقا وحبرا ووقتا لأدلل على أمر يتفق فيه معي أكثر من في الأرض .

يا مدرك الأبصار والأبصار لا تدري له ولِكُنْهِهِ إدراكًا
إن لم تكن عيني تراك فإنني في كل شيء أستبين عُلاك

ثانيا : أمر الخلق بالعدل والقسط.

يقول الإمام النورسي، رحمه الله تعالى: (إن العدالة العامة الجارية في الكون النابعة من التجلي الأعظم لاسم العدل إنما تدير موازنة عموم الأشياء، وتأمر البشرية بإقامة العدل)[٥٤]

نعم، إن عدالة الله عز وجل في الخلق لتنادي وتصيح بالبشر: أيها الناس اعدلوا، فكما أن خلق الله عز وجل قائم على أساس العدل ولا قيام له إلا بالعدل؛ فكذلك على البشر أن يقيموا حياتهم بالعدل؛ وإلا انخرمت معايشهم وضاعت الحقوق والمصالح، واختل ميزان وجودهم، بالعدل تقوم السماوات والأرض[٥٥] وتقوم الأمم والدول والشعوب، فـ (المسلم مأمور بالعدل في ذاته، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥) ومأمور بالعدل في المعاملة، وهي معاملة مع خالقه بالاعتراف له بصفاته وبأداء حقوقه ومعاملة مع المخلوقات من أصول المعاشرة العائلية والمخالطة الاجتماعية، وذلك في الأقوال والأفعال، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٢)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (النساء: ٥٨) ومن هذا تفرعت شعب نظام المعاملات الاجتماعية من آداب وحقوق وأقضية وشهادات ومعاملة مع الأمم، قا لتعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ

(٥٣) وانظر " المبدع الأعظم " ، كلود م . هاثواي : ص ٩٦ ، بحث ضمن مجموع رسائل " الله يتجلى في عصر العلم " ، ترجمة : الدمرداش عبد المجيد سرحان .
(٥٤) رسائل النور ، اللمعات ، اللمعة الثلاثون : ص ٥٢٦.
(٥٥) انظر الحاشية رقم (٦) .

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (المائدة: ٨) (٥٦)

فالعدل جامع لجميع الفضائل والجور المقابل له جامع لجميع الرذائل، ولقد تكررت نداءات القرآن الكريم وسنة الرسول ρ بضرورة إقامة العدل، قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَالله أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء: ١٣٥)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ (النحل: ٩٠)، ﴿ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ (الأعراف: ٢٩)، وقال: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ الله فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩). وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ الله أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٢). وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨)، وقال: ﴿ إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ الله نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ الله كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء: ٥٨)، وقال تعالى ﴿ لاَّ يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.﴾ (الممتحنة: ٨)، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ الله مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَم لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: ٧٦) وقال تعالى : ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ الله مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ (الشورى: ١٥)

وفي الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) (٥٧).

وقال ρ: (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل ...)(٥٨)، وقال، ρ: (إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه

---

(٥٦) التحرير والتنوير : ٢٥٤/١٤ .

(٥٧) أخرجه أحمد: ٥/ ١٥٤ ، ١٦٠ ،١٧٧، ومسلم : ٢٥٧٧، والترمذي: ٢٤٩٥، وابن ماجة: ٤٢٥٧، وعبد الرزاق: ٢٠٢٧٢ ، وأبو نعيم في الحلية: ١٢٥/٥ - ١٢٦. والخطيب البغدادي في التاريخ : ٢٠٣/٧ ـ ٢٠٤

(٥٨) أخرجه البخاري : ٢٣٤/١ ، ومسلم : ٧١٥/٢ ، من حديث أبي هريرة ، به.

يمين، الذين يعلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا) [٥٩]، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ρ: (إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش إن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش، وإياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا) [٦٠]، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ρ قال: (إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين) [٦١] والغلو هو الميل إلى أحد طرفي النقيض والابتعاد عن الاعتدال الذي هو العدل، والغلو من لوازم ترك العدل .

وهكذا لو أجلت نظرك في نصوص الشرع وأحكامه، لوجدت أن العدل هو مشكاته وميزانه .

إن الإسلام يقرر أن العدالة حق للأعداء كما هي حق لأولياء، فلا يصح أن تحمل العداوة والبغضاء على الظلم، فإن العدل مع الأعداء أقرب للتقوى كما قال تعالى، ويقرر أن أساس الأحكام الإسلامية المنظمة لعلاقات البشر كلها هو العدل، ففي السلم يكون حسن الجوار وحرمة الغش ولو لغير المسلمين، نصيحتهم ودلهم على الخير بل دعوتهم إلى أعز ما يملكه المسلمون وهو الإيمان. وفي الحرب يكون الباعث عليها هو العدل واستعلاء الحق، والتسامح الذي يؤدي إلى ضياع الحقوق ليس تسامحا ولا رحمة بل ظلم وقسوة على الذين ظلموا واستبيحت حقوقهم، فالتسامح محمود حيث لا تمس العدالة، وحيث لا يغمط الناس حقوقهم[٦٢] بل ينبغي وضع التسامح في موضعه وكل شيء وضع في غير موضعه فهو ظلم، يقول الغزالي رحمه الله تعالى: (وربما يظن أن الظلم هو الإيذاء، وأن العدل هو إيصال النفع إلى الناس، وليس كذلك، بل لو فتح الملك خزانته المشتملة على الأسلحة والكتب وفنون الأموال، لكن فرق الأموال على الأغنياء، ووهب الأسلحة للعلماء، وسلم إليهم القلاع، ووهب الكتب للأجناد وأهل القتال وسلم إليهم المساجد والمدارس، فقد نفع، ولكنه ظلم وعدل عن العدل؛ إذ وضع كل شيء في غير موضعه اللائق به)[٦٣].

وَوَضْعُ النَّدَى في مَوْضِعِ السَّيْفِ بالعُلَى مُضِرٌّ، كَوَضْعِ السَّيْفِ في مَوْضِعِ

---

(٥٩) أخرجه مسلم : ٢١١/١٢ .

(٦٠) أخرجه النسائي، والدارمي: ٢٤٠/٢ ، أبو داود : ٢٦٨/١ ، و الحاكم : ٤١٥/١ و قال: " صحيح الإسناد " ولم يعقب عليه الذهبي. و أخرجه أحمد : ١٩٥/٢ ، والحديث أصله في الصحيحين.

(٦١) أخرجه النسائي والبيهقي وأحمد بسند صحيح

(٦٢) انظر العلاقات الدولية في الإسلام ، لأبي زهرة : ص ٣٦ ٣٤٠ .

(٦٣) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، لأبي حامد الغزالي : ص ١٠٠ .

النَّدَى[٦٤]

ثالثا : الإيمان باليوم الآخر، وثبوت الميعاد والحساب :

لقد تأملت كثيرا في حديث: (لتؤدَّنَّ الحقوقُ إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) [٦٥] إذا كانت البهائم والدواب والطير مآلها إلى تراب فما الحكمة من حسابها، والله عز وجل منزه عن العبث، فلا بد من حكمة لذلك، فما هي هذه الحكمة ؟

إنك إذا نظرت في الكون كله وجدته كالبناء الواحد، كل شيء فيه كامل تام، قائم على أساس القسط والعدل، كل له دوره الذي خلقه الله لأجله وفطره عليه، لا الشمس تسبق القمر ولا الليل سابق النهار ... كل ما تراه من المخلوقات تراه قائما بالعدل، وقد مر بنا طرف من ذلك، لكن ظلم البشر لبنة ناقصة في هذا البناء، وحرف ناقص في كتاب الكون ،، ولعمرك، إن هؤلاء الجلادين الذين أثاروا العالم حربا وقتالا ودمارا وفسقا وفجورا وسادية واستعلاء وتجبرا وقسوة وصراعا، من أمثال: فرعون وهامان وأبو جهل وأبو لهب وأمية بن خلف وجنكيز خان وهولاكو وإيفان الرهيب وستالين ولينين وماو وهتلر وموسيليني وجارسيان وجاديلهو وميلوسوفيتش... و... و... وغيرهم كثير من جلادي العام وأباطرة الإجرام، أيُظن أنهم قد فروا بفعلتهم، مَن قتل ملاين الناس بغير حق، ودنس مقدسات الله تعالى، وقتل أنبياءه، مَن ضلل الناس عن سبيل الله، وحرف الكتب المنزلة، وحارب أنبياءه وأهان أولياءه، مَن مزق الكتاب وسب الله ورسله وملائكته، مَن أشاع الفاحشة وهيج الشهوات وأفسد في الأرض وأهلك الحرث والنسل، مَن رمل النساء ويتم الأطفال، مَن حقن الأطفال والناس بالأوبئة والفيروسات، مَن تترس بالأطفال والنساء ووضعهم فوق الدبابات جبنا وخسة ودناءة، مَن أجاع الخلق بحصار اقتصادي ومنع عنهم الدواء حتى مات الملايين من الأطفال والنساء والشيوخ الرتع، مَن لوث البيئة بيورانيوم منضب وغيره من المواد المشعة، مَن حرّق وقتل بقنابل ذرية قنابل وعنقودية وصواريخ ...، من سرق الثروات وهدم البنيات، مَن خان الأمانة وضيع رعيته وتآمر عليهم وباعهم لعدوهم، أيُظن أن هؤلاء قد أمنوا العقاب والحساب، أيُظن أنهم بمفازة من العذاب، أيُظن أن ما فعلوه

---

(٦٤) ديوان المتنبي ، للبرقوقي : ١١/٢.

(٦٥) أخرجه مسلم : ١٨/٧ ١٩ ، وأحمد : ٢٣٥/٢ ، ٣٠١ ، ٤١١ ، والترمذي : ٢٩٢/٤ من تحفة الأحوذي، وفي رواية لأحمد: " يقتص الخلق بعضهم من بعض ، حتى الجماء من القرناء ، وحتى الذرة من الذرة " .

واقترفوا واغتصبوه قد ذهب هباء وسدى، أيظن أن وجودهم كان عبثا، وأن أعمالهم أصبحت نسيا منسيا، أيعدهم شياطين الوجودية ومردة الإلحاد أنهم قد فروا من خالقهم بموتهم، هياهات هيهات لما يوعدون، أم يحسب الذين ظُلموا أنهم قد ضاعت حقوقهم، والذين قتلوا بغير حق أنهم قد هدرت دماؤهم، أفيُظن أن مَن أحيا عمره لهداية الخلق وتوجيه الناس لما يحييهم في الدنيا الآخرة فأوذي من البشر وعذب وقتل، مَن جابه الطغاة وقاوم الكفر والشرك وجاهد في الله، مَن نشر النور والتوحيد والهدى والتقى، مَن أقام العدل ونفى الظلم، أيُظن أن الله الحكيم العادل الرحيم لا يوفيه حقه ويزيد في إحسانه، إن قوانين الكون ونواميسه التي لا تتخلف أبدا تأبى ذلك وتنفيه وتقطع بخلافه، إن كل هؤلاء لابد مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين، نعم، سترجف الراجفة وستتبعها الرادفة، والقلوب يومئذ واجفة والأبصار خاشعة، وستذهل عن الرُّضَّع كلُ مرضعة، وتضع كلُ ذات حمل حملها مسرعة مفزعة، يومها يزول العمران، ويشيب الولدان، وتأخذ الناسَ سكرةُ الآخرة، وتنصب الموازين القسط ويقتص من كل من تجبر وطغى، واستكبر وعصى، وإن العدل سبحانه الذي خلقكم بالعدل وأقام الكون بالعدل؛ سيبعثكم ويعيدكم فيه تارة أخرى لإقامة القسط والعدل ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، نعم، إن ما يظهر من اسم اله العدل في خلقه وتكليفه وقدره وقضائه لإحدى أهم الدلالات على إثبات اليوم الآخر والحساب والميعاد، وإنّ بناء هذا الكون المحكم، العدل، تنقصه هذه اللبنة، وإنه ليدل بوضوح أن صانعه أجَّلَ وأخّر وضع هذه اللبنة في موضعها لحكمة عنده ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (آل عمران: ١٧٨)، ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ (الطارق: ١٧)

ولعل فيما ذكرت جوابا عن سؤالي في أول المبحث، فإذا أردت زيادة البيان؛ فأرع سمعك لكلمات الإمام النورسي، رحمه الله تعالى، البديعة، حيث يوضح هذه الفكرة بأسلوبه الشيق في مواضع كثيرة جدا من رسائله، فيقول مثلا :

(أمن الممكن لخالق ذي جلال أظهر سلطان ربوبيته بتدبير قانون الوجود ابتداء من الذرات وانتهاء بالمجرات، بغاية الحكمة والنظام وبمنتهى العدالة والميزان.. أن لا يعامل بالإحسان من احتموا بتلك الربوبية وانقادوا لتلك الحكمة والعدالة، وان لا يجازي أولئك الذين عصوا بكفرهم وطغيانهم تلك الحكمة والعدالة؟ بينما الإنسان لا يلقى ما يستحقه من الثواب أو العقاب في هذه الحياة الفانية على وجه يليق بتلك

الحكمة وتلك العدالة إلا نادرًا، بل يؤخر، إذ يرحل اغلب أهل الضلالة دون أن يلقوا عقابهم، ويذهب أكثر أهل الهداية دون أن ينالوا ثوابهم.. فلابد أن تناط القضية بمحكمة عادلة، وبلقاءٍ آيل الى سعادة عظمى.)[٦٦].

ويقول أيضا: (إن تضمين الخطة الدقيقة لزهرة جميلة في بُذيرتها الصغيرة، وكتابة صحيفة أعمال شجرة ضخمة وتاريخ حياتها وفهرس أجهزتها، في نويّتها بقلم القَدَر المعنوي.. يرينا بوضوح أن قلم حكمةٍ مطلقة هو الذي يتصرف في الأمر.. وكذا، وجود روعة الصنعة الجميلة وغاية حُسنها في خلقة كل شيء، يُظهر أن صانعاً حكيماً مطلقاً هو صاحب هذا الإبداع وهذه النقوش..نعم، إن إدراج فهرس الكائنات جميعاً، ومفاتيح خزائن الرحمة كافة ومرايا الأسماء الحسنى كلها، في هذا الجسم الصغير للإنسان، لمما يدل على الحكمة البليغة في الصنعة البديعة.. فهل من الممكن لمثل هذه الحكمة المهيمنة على مثل هذه الإجراءات والشؤون الربانية إن لا تحسن معاملة أولئك الذين استظلوا بظلها وانقادوا لها بالإيمان، وان لا تثيبهم إثابة أبدية خالدة؟.)[٦٧]

ويقول أيضا: (غير أن الإنسان الذي يقضي حياة قصيرة في هذه الدنيا الفانية لا ينال ولن ينال حقيقة مثل هذه العدالة. وإنما تؤخّر إلى محكمة كبرى. حيث تقتضي العدالة الحقة أن يلاقي هذا الإنسان الصغير ثوابَه وعقابه لا على أساس صغره، بل على أساس ضخامة جنايته، وعلى أساس أهمية ماهيته، وعلى أساس عظمة مهمته.. وحيث ان هذه الدنيا العابرة بعيدة كل البعد عن أن تكون محلاً لمثل هذه العدالة والحكمة بما يخص هذا الإنسان - المخلوق لحياة أبدية - فلابد من جنة أبدية، ومن جهنم دائمة للعادل الجليل ذي الجمال وللحكيم الجميل ذي الجلال.)

ويقول أيضا: (فهناك إذن ديار غير هذه الديار، فيها محكمة كبرى، ودار عدالة عليا، ومقرَّ كرم عظيم، لتظهر فيها هذه الرحمة وهذه الحكمة وهذه العناية وهذه العدالة بوضوح وجلاء.)

ويقول ايضا: (خلق الجنة والنار والصراط و الميزان الأكبر لأجل تجليات وتحقق العدالة والحكمة والرحمة التي هي أهم أساس للربوبية)[٦٨].

ويقول أيضا: (... لأن وجوده سبحانه وتعالى، وصفاته الجليلة، وأغلب أسمائه الحسنى، وشؤونه الحكيمة وأوصافه المقدسة أمثال الربوبية والألوهية والرحمة

---

(٦٦) رسائل النور ، الكلمات ، الكلمة العاشرة ص: ٦٨

(٦٧) رسائل النور ، الكلمات ، الكلمة العاشرة ص: ٦٨

(٦٨) الشعاع الحادي عشر ص ٢٩٩.

والعناية والحكمة والعدالة، تقتضي جميعها الآخرة وتلازمها، بل تستلزم وجود عالم البقاء بدرجة الوجوب، وتطلب الحشر والنشور للثواب والعقاب بدرجة الضرورة أيضا). [٦٩]

ويقول أيضا : (وبمجيء الآخرة ووجودها تتحقق كمالاته وتصان من السقوط، وتسود عدالته المطلقة، وتنجو من الظلمن وتتنزه حكمته العامة وتتبرأ من العبث والسفاهة، و تأخذ رحمته الواسعة مداها، وتنقذ من التعذيب المشين، و تبدو عزته وقدرته المطلقتان وتنقذان من العجز الذليل، وتتقدس كل صفة من صفاته وتتجلى منزهةً جليلة). [٧٠]

ويقول أيضا معللا ذلك: (فلابد ولا ريب مطلقا أن القيامة ستقوم، وأن الحشر والنشر سيحدث، وأن أبواب دار الثواب والعقاب ستفتح... كي تتحقق أهمية الأرض ومركزيتها، وأهمية الإنسانية ومكانتها... ولكي تتقرر عدالة رب الأرض والإنسان وحكمته ورحمته وسلطانه... ولكي ينجو الأولياء والأحباء الحقيقيون والمشتاقون إلى الرب الباقي من الفناء والإعدام الأبدي... ولكي يرى أعظمهم وأحبهم وأعزهم ثواب عمله، ونتائج خدماته الجليلة التي جعلت الكائنات في امتنان ورضًى دائمين.. ولكي يتقدس كمال السلطان السرمدي من النقص والتقصير، وتتنزه قدرته من العجز، و تتبرأ حكمته من السفاهة وتتعالى عدالته عن الظلم). [٧١]

وصلي اللّٰهم وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٦٩) الكلمة العاشرة، ص ١١٠.

(٧٠) رسائل النور ، الكلمات ، الكلمة العاشرة، ص ١١٣.

(٧١) رسائل النور ، الكلمات ، الكلمة العاشرة، ص ١١٣.